

### تفسير الجلالين - سورة القمر (3)

من الآية 41 إلى آخر السورة

الشيخ: عبد الكريم الخضير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، وصلى وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين:  
أما بعد..

فيقول المفسر -رحمه الله تعالى- في قوله -جل وعلا-: **{وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ أَنبَاءٌ} [41] سورة القمر** **{وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ} "قومه"**، **{وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ}** الآل: هم الأهل في الأصل والأتباع، ويدخل فيهم الشخص دخولاً أولاً **{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [46] سورة غافر** مع أنه جاء في سورة هود أنه يقدم قومه فهل يسلم فرعون؟ لأن الله -جل وعلا- قال: **{أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ}** فماذا عن فرعون؟ دخوله في آله دخولاً أولاً **{وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ} "قومه معه"**، **{النَّذْرُ}** "الإذار"، نذر قضايا أنذرهم بها موسى -عليه السلام- فالمراد بـ **{النذر}** "الإذار على لسان موسى وهارون فلم يؤمنوا"، والنذر يأتي ويراد به جمع النذير، والنذير والمنذر بمعنى واحد، جاءهم أكثر من منذر جاءهم موسى، جاءهم هارون، ويطلق الجمع على الاثنين، فأقل الجمع اثنان عند جمع من أهل العلم، أو يكون المراد بالنذر ما أنذرهم به وخوفهم به موسى -عليه السلام-.

فلم يؤمنوا، بل **{كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُذَّابًا} [42] سورة القمر**، يقول: أي "التسع التي أوتيها موسى"، التسع: اليد، والعصى، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس وأيضاً، الجراد، والسنين بقت واحدة، نعم.

طالب .....

الطوفان إيش لا، الدم نعم تسع.

طالب : ذُكر

نعم كيف؟ قبل ذلك، طيب نعيد، هات.

طالب : .....

الطوفان، الجراد، القمل، الضفادع، الدم هذه خمس، العصى، واليد، والطمس، والسنين تسع بل **{كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُذَّابًا} أي: "التسع التي أوتيها موسى"**، **{فَأَخَذْنَا هُمْ} الله -جل وعلا- يملئ ويمهل لكنه لا يهمل، وإذا أخذ **{أَخَذَ} عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ} يعني ما في ثناوية بقوة، وهذا أمر يسير عليه -جل وعلا-، **{فَأَخَذْنَا هُمْ} "بالعذاب" أخذ **{عَزِيزٍ} "قوي"**، **{مُقْتَدِرٍ} "قادر لا يعجزه شيء"**، "قادر لا يعجزه شيء"، يعني إذا نظرنا إلى قدرة البشر مثلاً بآلاتهم وجموعهم وعددهم وعتادهم وجدنا أن هناك شيء من القوة، بل قوة قد تكون مهولة يعني كما حصل من التتار في منتصف القرن السابع، حيث شنوا حروب إبادة للمسلمين وقتل في بغداد وحدها في ثلاثة أيام يعني قيل: "ألف ألف وثمان مئة ألف" -مليون وثمان مئة ألف في ثلاثة أيام- قوة مهولة، وتيمور لما أحاط بدمشق فعل ما فعل نساء الله العافية آباها عن بكرة أبيها، محاها من الوجود، ما بقي إلا رسوم يسيرة ونفر يسير لا شأن لهم،******

والتواريخ ما زالت شاهدة بهذا، وما فعله النصارى بالأندلس قريباً من ذلك، قوى قد ينهار أمامها كثير من الناس لكنها مع ذلك قوى بشرية لا تعدوا أن تكون قوى بشرية، تحت قدرة الباري -جل وعلا- سلط مثل هؤلاء الظلمة على المسلمين بما كسبت أيديهم، يعني لو نظرنا إلى تاريخ المسلمين قبل حروب وغزو التتار، وجدناهم في انصراف عن ما خلقوا له وتشبث بهذه الدنيا، تمسك بها، وهو وغفلة ومعاصي استحقوا بها هذه العقوبة التي من حكمها التصفية، والرجعة، والعودة إلى الله -جل وعلا- وهكذا حصل.

في الحروب الأخيرة في بعض البلدان المنتسبة أهلها إلى الإسلام حصل فيها شيء من هذا، لكن قبل ذلك ما كان، ماذا عن وضع المسلمين فيها؟ لا يعرفون من الإسلام إلا الاسم، لا يعرفون منه إلا الاسم ليس هناك شر محض، يعني في بلاد البلقان شخص من الدعاة ذهب إليهم قبل الحرب، يقول: إن في شخص كبير في السن ذو لحية كثة بيضاء، ويكرر من قول: لا إله إلا الله يبيع سمك، وعنده مصحف جوامعي قطع كبير، إذا باع سمكة قطع ورقة ولف السمكة فيها وأعطاها الزبون، يعرفون من الإسلام شيئاً هؤلاء؟ ما يعرفون شيئاً، لكن شوف وضعهم الآن، تغير وضعهم فهم ليس هناك شر، ليس هناك شر محض، يعني التقت الناس إلى الدين، وتعلموا الدين، وعملوا بالدين نعم هذا الأمور التي ابتلي بها المسلمون لا يجوز للمسلم أن يفرح بها، لا يجوز للمسلم أن ينظر إلى أخيه المسلم وهو يهان، وهو يقتل، وينتهك عرضه هذا لا يجوز أن يصبر على هذا بل تجب عليه إعانتة، لكن مع ذلك الله -جل وعلا- حكيم عليم، تغيرت الأحوال وتبدلت تغييراً كبيراً جداً، يعني لو نظرنا إلى ما فعله الدنمارك بالنسبة لجناب المصطفى -عليه الصلاة والسلام- هذا ليس بشر محض، كثير من بيوت المسلمين لا يعرفون عن النبي -عليه الصلاة والسلام- إلا أن اسمه محمد وأنه رسول، لكن ماذا عن حياته؟ ماذا عن خصائصه، ماذا عن شمائله؟ ماذا عن سيرته؟ ماذا عن أوصافه -عليه الصلاة والسلام-؟ ما يعرفون شيئاً، كثير من بيوت المسلمين تقرأ فيها كتب السيرة والشمائل والمغازي الآن بقوة، كثير من طلاب العلم اضطروا إلى أن يرجعوا إلى المصادر فاستقادوا كثيراً، وإذا كان الكلام في عرضه -عليه الصلاة والسلام- فإله -جل وعلا- يقول عنه: **{لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ}** [11] سورة النور] نعم خير، شوف الآثار المترتبة على مثل هذا تغيرت أحوال المسلمين بعد غزو التتار، ورجعوا من جديد وعادوا إلى الإسلام من جديد، فلا يعني هذا أننا نفرح بمثل هذا المصائب أبداً، لكن لها جوانب وجوانب أخرى، يعني لو راجعنا مثلاً الجزء الثاني عشر من "النجوم الزاهرة" واطلعنا على ما فعله تيمور بدمشق بحيلة ماهرة، يعني شيء، أمر مخوف يجعل الإنسان يتوقع العقوبة في أي لحظة؛ لأن حالنا ليست بعيدة من أحوالهم، فعلينا أن نقرأ ونتدبر ونعتبر، وأن ما حل بالقوم يحل بنا مثل ما قص الرب -جل وعلا- عن الأمم الماضية، الآن قص علينا قصة نوح، وقصة هود مع قومه عاد، وقصة ثمود، وقوم لوط، ثم القصة الخامسة قصة فرعون مع موسى -عليه السلام-، ومآل الجميع الهلاك والدمار فليخشي الإنسان أن يقع في مثل ما وقعوا فيه، فتكون نتيجته كنتيجتهم كما سيأتي.

**{أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَانِكُمْ}** [43] سورة القمر] يعني هل أنتم أفضل منهم؟ **{أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ}** معكم صكوك من الرب -جل وعلا- نزل عليكم كتب تيرتكم مما حل بهم.

**{فَأَخَذْنَا هُمْ} بالعذاب {أَخَذَ عَزِيزٍ} قوي {مُقْتَدِرٍ} قادر لا يعجزه شيء،** الآن الأمم الكافرة وقد أجلبت على المسلمين بخيلها ورجلها بجموعها بقوتها، هل استطاعوا أن يدفعوا عن أنفسهم ما حل بهم؟ يعني ما هم يشنون

حروب إبادة على المسلمين، وقع في بلدانهم كوارث من فيضانات وغرق وحرائق استطاعوا أن يردوا شيئاً، في أثناء هذه الحروب استطاعوا أن يردوا شيئاً ما استطاعوا، لكن الله -جل وعلا- **((إذا أخذ الظالم لم يفلته))** **{فَأَخَذْنَا هُمْ}** يعني "بالعذاب" **{أَخَذَ عَزِيزٌ}** "قوي"، **{مُقْتَدِرٌ}** "قادر لا يعجزه شيء"، يعني النهاية أن ماتوا غرقاً خلاص، بطريقة لا يقدر عليها إلا الله -جل وعلا-، لما موسى ضرب البحر بعصاه صار طريقاً يبساً ولوجوا فيه، فتبعهم فرعون وقومه لما تكاملوا أغرقوا، ما يحتاجون ولا إلى قبور الآن في أيسر وسيلة قادر لا يعجزه شيء.

**{أَكْفَارُكُمْ}** أيه المخاطبون من "قريش"، **{خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيكُمُ}** "المذكورين من قوم نوح"، قوم هود، قوم صالح، قوم لوط، قوم موسى، يعني هل كفار قريش، ومن يأتي من بعد قريش، هل هم أفضل من أولئك الكفار؟ لا فرق، لا فرق بين كافر وكافر، الكافر من قريش، الكافر من بني هشام مثل الكافر في أبعد وأوضع قبيلة وأبعد قرية لا فرق **{أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيكُمُ}** "المذكورين من قوم نوح إلى فرعون فلم يعذبوا"، فلم يعذبوا، أكفاركم فلم يعذبوا، أو فلن يعذبوا، لم وإلا لن، والمناسب يعني أكفاركم ممن قد مات فنقول لم يعذبوا، أو ممن هو موجود وقت الخطاب، موجود وقت الخطاب نقول لن يعذبوا في المستقبل، أو من مات منهم لم يعذبوا؛ لأن لم تقلب الفعل المضارع إلى الماضي، تقلب الفعل المضارع إلى الماضي فلم يعذبوا في الماضي، وإذا قلنا لن يعذبوا يعني في المستقبل أيهما أولى، يعني الآن الخطاب لكفار قريش، **{أَكْفَارُكُمْ}** "يا قريش"، **{خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيكُمُ}** "المذكورين من قوم نوح إلى فرعون" هؤلاء الذين عذبوا، وانتهى أمرهم **{أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ}** من هؤلاء الذين عذبوا فلن يعذبوا، كفاركم لم يعذبوا؛ لأنهم خير من أولئك.

**{أَمْ لَكُمْ}** "يا كفار قريش"، **{بِرَاءَةٌ}** "من العذاب"، **{فِي الزُّبُرِ}** "الكتب"، يعني هل نزل من كتب الله -جل وعلا- جاء عنه ما يدل على أن لكم براءة من العذاب ولو كفرتم؟ الجواب عن الأول لا، ليسوا بخير من الكفار السابقين، وليست لديهم براءة من الله -جل وعلا- فالنتيجة هي نتيجة أولئك، النتيجة الحتمية لهؤلاء هي النتيجة الحتمية التي آل إليها أمر أولئك من الأمم السابقة.

**{أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ}** "من العذاب" **{فِي الزُّبُرِ}** يعني "الكتب"، "والاستفهام في الموضوعين بمعنى النفي أي: ليس الأمر كذلك"، فلستم بخير من أولئك ولا يوجد لديكم براءة من الله -جل وعلا- من عذابه، فمصيركم مصيرهم، ومالكم مآلهم.

**{أَمْ يَقُولُونَ}** [(44) سورة القمر] "أي كفار قريش"، **{نَحْنُ جَمِيعٌ}** "أي: جمع"، **{مُنْتَصِرٌ}** "على محمد"؛ لأنهم اجتمعوا واتحدوا ضد النبي -عليه الصلاة والسلام- في بدر، يقول: **{نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ}** يعني كلامهم قبل بدر لأن الآية مكية، وكان عمر -رضي الله عنه- يقول: لا أدري ما معنى هذه الآية؟ **{يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ}** \* **{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}** [(44-45) سورة القمر] ما أدري متى؟ لكن لما حصلت وقعة بدر ناشد النبي -صلى الله عليه وسلم- ربه، وألح بالدعاء، ثم خرج فقال: **{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}** فقال عمر: الآن عرفت معنى الآية، **{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}**.

**{أَمْ يَقُولُونَ}** "أي كفار قريش" **{نَحْنُ جَمِيعٌ}** "أي جمع"، **{مُنْتَصِرٌ}** "على محمد"، ولما قال أبو جاهل يوم بدر: إنا جمع منتصر" نزل **{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}**، **{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}** في أول السورة قال

المؤلف: السورة مكية إلا **{سيهزم الجمع}** بناء على أن الآية نزلت لما قال أبو جهل: إنا جميع منتصر، نزل على إثر ذلك قوله -جل وعلا-: **{سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُوَلِّونَ الدُّبْرَ}** مع أن بعضهم يرون أن هذه الآية أيضاً مكية فالسورة كلها مكية، وأنها سيهزم يعني في المستقبل وهذا وعد من الله -جل وعلا- لنبيه -عليه الصلاة والسلام- ، ولا يلزم أن يكون نزولها في وقت تحققها.

**{سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُوَلِّونَ الدُّبْرَ}**، **{نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ}**، **{سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُوَلِّونَ الدُّبْرَ}** منتصر والدبر، منتصر مفرد، والدبر مفرد، والجميع جمع، والأصل أن يقول: نحن جميع منتصرون، سيهزم الجمع ويولون الأدبار، لكن مراعاة رؤوس الآي، مراعاة رؤوس الآي إنما يكون بالإفراد، **{سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُوَلِّونَ الدُّبْرَ}** "فهموا ببدر ونصر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عليهم" انتهى الأمر، ما انتهى هذا العذاب الأدنى، هذا العذاب الدنيوي، وهناك عذاب أعظم **{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ}** [21] سورة السجدة].

**{بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ}** [46] سورة القمر] ما انتهى الأمر، **{بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ}** "بالعذاب"، **{وَالسَّاعَةُ}** "أي: عذابها" يعني ما يعقبها من عذاب، **{أَذْهَى}** أي "أعظم بلية"، **{وَأَمْرٌ}** "أشد مرارة من عذاب الدنيا"، والساعة يعني العذاب الذي يعقبها، **{أَذْهَى}** أي "أعظم بلية" من عذاب الدنيا، من العذاب الأدنى، **{وَأَمْرٌ}** "أشد مرارة من عذاب الدنيا"، والمرارة إنما تذاق بالفم، الطعوم كلها إنما تدرك بالذوق عن طريق الفم، وسيأتي قوله: **{ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ}** [48] سورة القمر]، **{ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ}**.

والذي قال: **{أَذْهَى وَأَمْرٌ}** يعني "أشد مرارة من عذاب الدنيا".

**{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ}** [47] سورة القمر] **{فِي ضَلَالٍ}** يقول: "في هلاك بالقتل في الدنيا"، والضلال إنما يقابله الهدى، فهم ضالون: المجرمون ضالون عن طريق الله المستقيم، حائدون مائلون عنه ملحدون جائرون عن سواء السبيل، وهنا قال: **{فِي ضَلَالٍ}** يعني "في هلاك بالقتل في الدنيا"، **{وَسَعْرٌ}** "تار مسعرة بالثشديد"، "تار مسعرة بالثشديد"، مسعرة "أي مهيجة في الآخرة"، موقدة، مسجرة -نسأل الله العافية-، مسعرة يصلونها يوم الدين.

**{يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ}** [48] سورة القمر] يعني "في الآخرة"، بعضهم يقول: **{يُسْحَبُونَ فِي}** بمعنى إلى، -يسحبون يجرون يدعون-، **{يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ}**، وأشرف ما في الإنسان وجهه، وإذا سحب على وجهه وجر على وجهه، ماذا يبقى له من الإكرام والاحترام؟ إذا كان يسحب على وجهه، هل يبقى له شيء من التقدير والاحترام والإكرام والإنعام؟ أبداً.

**{يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ}** أي "في الآخرة"، **{ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ}** يعني يقال لهم: **{ذُوقُوا}** وكثيراً ما يحذف القول ويقدر، يعني مثل ما ذكرنا في درس سابق **{فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ}** [106] سورة آل عمران] يعني يقال لهم: أكفرتم، "وهنا يقال لهم: **{ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ}** إصابتهم جنهم لكم" وتمسك النار.

**{مَسَّ سَقَرَ}** -نسأل الله العافية-، و**{سَقَرَ}** اسم من أسماء النار، **{ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ}** ممنوع من الصرف؛ لأنه علم من الأعلام بالنسبة للنار، وهي مؤنثة علمية وتأنيث فهو ممنوع من الصرف.

**{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ}** [49] سورة القمر] "منصوب بفعل يفسره" خلقناه، **{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ}** الأصل إننا، إنا دخلت على نون ناء المتكلم والأصل أنها للجمع، والعرب تؤكد فعل الواحد بضمير الجمع، **{إِنَّا}** أصلها إننا، وناء بالنسبة

للجماعة المتكلمين، لكن العرب تؤكد فعل الواحد بضمير الجمع، وهذا ذكره الإمام الحافظ في صحيحه في تفسير سورة **{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ}** [1] سورة القدر] العرب تؤكد فعل الواحد بضمير الجمع، **{إِنَّا كُنَّا}** "منصوب بفعل يفسره" خلقناه، يعني إنا خلقنا كل شيء، **{خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}** يعني "بتقدير"، وفي هذا إثبات للقدر والإيمان به ركن من أركان الإيمان لا يصح إلا به، وظهر في أواخر عصر الصحابة من ينكر وينفي القدر، ويزعمون أن الأمر أنف كما جاء في صحيح مسلم من حديث ابن عمر، وابن عمر قال: أخبرهم أنهم لو أنفقوا مثل أحد ذهب لم يتقبل منهم حتى يؤمنوا بالقدر، فالإمام بالقدر معروف ركن من أركان الإيمان.

ورأي أهل السنة والجماعة فيه وسط بين القدرية النفاة مجوس هذه الأمة، وبين الجبرية، أولئك ينفون القدر وأن الله -جل وعلا- لا يعلم الأشياء قبل وجودها، ولم يقدر على أحد شيئاً، والإنسان يتصرف بكامل الحرية، وله مشيئة وإرادة مستقلة عن إدارة الله ومشيئته، فيثبتون خالقاً مع الله -جل وعلا-، والجبرية على الضد من ذلك يرون أن الإنسان مجبور، وأن تصرفات المكلف وغير المكلف إنما هي كحركة ورق الشجر في مهب الريح ليس له أي دور في أعماله.

**{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}** [96] سورة الصافات] فهما على طرفي نقيض، وأهل السنة وسط بين القدرية الغلاة في النفي، وبين أولئك الجبرية الغلاة في الإثبات، أهل السنة وسط بينهما يرون أن المكلف له حرية، وله اختيار، وله مشيئة لكنها تابعة لمشيئة الله -جل وعلا- وإرادته، وأنه لن يخرج عما قدره الله عليه، ولن يحصل في ملك الله إلا ما يريد، وله حرية، ما أجبر على عمل لا يستطيعه، ما سلب الحرية والاختيار ثم قيل له افعل؛ ليكون تعذيبه في الجهتين تعذيبه ظلم، صار مجبور على الفعل تعذيبه ظلم، وفر القدرية من هذه الشبهة إلى ما هو شر منها فأنبتوا مع الله -جل وعلا- خالقاً آخر، ولذا جاء الخبر بتسميتهم مجوس هذه الأمة، وأهل السنة مثل ما قلنا وسط في البابين يثبتون الحرية واختيار، ومع ذلك هذه الحرية والاختيار ليست مطلقة بل مقيدة بإرادة الله -جل وعلا-.

**{بِقَدَرٍ}** يقول: "حال من كل -يعني إن خلقنا كل شيء خلقناه- مقدرًا، مقدرًا "حال من كل مقدرًا"، وقرئ **{كل}** بالرفع مبتدأ خبره خلقناه"، إذا عرفنا الناصب لكل، وننتبه للمقارنة بهذه الآية **{إِنَّا كُنَّا}** هذا هو المرجح قراءة النصب هي المرجح، قرئ **{كُلٌّ}** بالرفع وسيأتي **{وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ}** [52] سورة القمر] المرجح الرفع مع أنه بالإمكان أن يقول: فعلوا كل شيء **{وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ}** يكون منصوب بفعل يفسره المذكور تقديره: فعلوا كل شيء فعلوه فهنا المرجح النصب، وهناك المرجح الرفع لماذا؟ ما الفرق، وما السبب في ترجيح النصب هنا وترجيح الرفع هناك، إذا قلنا **{كُلٌّ}** بالرفع جعلناها مبتدأ خبره خلقناه **{إِنَّا كُنَّا شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}** [49] سورة القمر]، ما الذي يترتب على هذا؟

طالب .....

الشيخ : لا لا المسألة مسألة متعلقة بالاعتقاد نعم.

طالب ..... كل شيء مخلوق مثل القرآن

الشيخ : لا لا خالق كل شيء ما في إشكال، يعني يرد شيء مما لا يتعلق به الله -جل وعلا- من أسمائه وصفاته هذا خارج **{إِنَّا كُنَّا شَيْءٍ}** يعني إنا خلقنا كل شيء، يعني المخلوق كله مقدر لله -جل وعلا-، وإذ قدرنا

يعني على رواية الرفع **{كل شيء}** كل شيء هذا مبتدأ خلقناه **{بقدر}** فيكون القدر متعلق بخلقناه ما هو متعلق بكل شيء على رواية النصب، القدر متعلق بكل شيء لا يخرج شيء عن تقدير الله -جل وعلا-، وإذا قلنا كل شيء خلقناه صار التقدير: بقدر متعلق بخلقناه، فيكون هناك أشياء لا يتناولها القدر مما لم يخلق؛ لأن خلقنا فعل ماضي يعني مما لم يخلق بعد لا يتعلق به القدر، يعني لو نظرنا إلى **{إن الله على كل شيء قدير}** [20] سورة البقرة] بعضهم يقول: إن الله على ما يشاء قدير، أيهما أعم؟ نعم.

طالب .....

الأولى أعم بلا شك؛ لأن القدرة متعلقة بكل شيء ما يشاءه وما لا يشاءه، قدرة الله -جل وعلا- علقها بكل شيء مما شاءه الله -جل وعلا- ومما لم يشاءه، منهم من يقول: إن الأمر في ذلك سهل؛ لأن الذي لا يشاءه الله -جل وعلا- ليس بشيء يعني عدم والعدم لا يتعلق به موجود، مثل مسألة من الدقائق تحتاج إلى انتباه، الطبري -رحمه الله- في أول سورة الملك قال: إن الله على ما يشاء قدير، والمفسر هنا ماذا قال في أول موضع؟ **{إن الله على كل شيء قدير}** [20] سورة البقرة] الآية عشرين من سورة البقرة **{إن الله على كل شيء قدير}** ماذا قال؟ إن الله على كل شيء شاءه قدير هذا الكلام صحيح وإلا ليس بصحيح؟ نعم ليس بصحيح.

هذا الأصل أن القدرة باقية على عمومها وأنها تتناول كل شيء، لكن يشكل على هذا في صحيح مسلم في حديث آخر من يخرج من النار، لما يقول له: تمنى فيتمنى، **(( يقول الله -جل وعلا- : فإنني على ما أشاء قادر))**. هذا يشكل على ما قررناه وإلا ما يشكل؟ يشكل، كيف نخرج من هذا الإشكال؟ يعني الطبري ما فيه، سهل نرد عليه، يعني لو لم يرد إلا كلام الطبري وهو إمام من أئمة السنة، يعني في أوائل سورة الملك قال: فإن الله على ما يشاء قادر، والمؤلف قال ذلك، والآية مطلقة.

وشيخ الإسلام رد على من قيدها لأن من المفسرين من قال: لا يوجد عام إلا وقد دخله الخصوص، وذكروا منها هذا، وشيخ الإسلام في الفتاوى قال: إن في سورة الفاتحة والورقة الأولى من سورة البقرة عمومات كثيرة جداً لم يدخلها خصوص -محفوظة- باقية على عمومها ومنها هذه الآية، لكن لا يشكل علينا إلا ما جاء في حديث مسلم: **(( فإنني على ما أشاء قادر))**، وفي سورة الشورى **{وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ}** [29] سورة الشورى] هذه ترد علينا وإلا ما ترد؟ **{وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ}** يعني هل مفهومها أنه إذ لم يشأ لا يقدر؟ نعم أجيبوا يا أخوان، نعم، يعني يكون في ذلك ما يعرف بتعارض القدر، تعارض القدر ويكون هذا من باب المحال، والمحال كما قال شيخ الإسلام: ليس بشيء، ليس بشيء فلا يدخل في كل شيء، ليس بشيء أصلاً ما يتعلق به شيء لا نفي ولا إثبات، المسألة تحتاج إلى فهم دقيق يعني المسألة من دقائق المسائل، يعني لما أورد مثلاً بعض المبتدعة والمجلس مجلس علم وإلا مثل هذا الكلام ما يقال في مجالس عامة، لما أورد بعضهم بعض المفتونين قال: هل يستطيع الرب -جل وعلا- --تعالى الله عما يقولون-- أن يخلق صخرة لا يستطيع تفتيتها، قالوا هذا في مثل هذا تعارض القدر فيه نفي وإثبات في آن واحد، لشيء واحد، متجهة لذات واحدة فهذا من باب النقيض، والنقيض عدم لا يتعلق به بشيء؛ لأنه محال، محال أن يوجد النقيضان في آن واحد أو ينتقيان في آن واحد، فمثل هذا لا يتعلق به حكم لا نفي ولا إثبات.

نكتفي بهذا لأن الموضوع كل ما يبسط أظنه يزداد تعقيداً، هذا شأن المباحث الكلامية مشكلتها أنها لا تنتهي إلى حد مع أن الأمور محسومة شرعاً، يعني ولذلك الذي لا تدرك عقولهم مثل هذه الأشياء عليهم ألا يخوضوا فيها كما في مسائل القضاء والقدر، أهل العلم يحسمون هذه المسائل وينهون ويؤكدون على مسألة الكف عن الخوض فيها؛ لأنها قد توجد شبهات يضعف الإنسان عن حلها، فإذا ضعف الإنسان عن حلها صارت عالقة بذهن السامع بحيث لا يستطيع لا فهم الحل، لذا يحذرون من طرح هذه المسائل على عامة الناس، أما بالنسبة لطلاب العلم فسواء طرحت عليهم في الدروس، أو قراؤها في الكتب لا بد أن يطلعوا عليها، لا بد أن يطلعوا عليها.

يقول -رحمه الله تعالى- في قوله: **{وَمَا أَمْرُنَا} (50) سورة القمر** [شئى نريد وجوده] **{إِلَّا وَاحِدَةٌ} "إلا أمره" {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}** يقول: "وما أمرنا لشئى نريد وجوده، **{إلا} أمره، {وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}** في السرعة وهي قول: **كن فيوجد " {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (82) سورة يس**، **{وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}** وهذا لا شك أنه تقريب وإلا إذا أراد شيئاً كان وما يشاءه يكون، قد يقول قائل: إن لمح البصر وإن كان في غاية من الخفة والسرعة إلا أنه يحتاج إلى وقت، إيش معنى وقت، يعني لا يلزم أن يكون وقت دقيقة أو أكثر أو أقل لا، المقصود أن لمح البصر يحتاج إلى وقت وإن كان يسيراً جداً بحيث لا يعتبر شيئاً يعني مثل ما جاء في **{لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك من ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر}}**.

المخيط ينقص شيئاً من البحر وإلا ما ينقص، يعني يخرج يابس وإلا رطب، نعم رطب إذاً ينقص مهما كان ولو شيء يسير جداً، ما علمي وعلمك يقول الخضر يقول لموسى: **{علمي وعلمك إلا بمقدار ما نقص هذا العصفور من البحر}}** لعصفور شرب من البحر، لكن كل هذا أمثلة تقريبية للمكلف، وإلا فالحقيقة لا ينقص شيئاً وهذا لا يحتاج إلى وقت البتة ولا كلمح البصر، لكن هذه أمور باعتبار أن البصر المخلوق لا يدرك أقل منها، المخلوق لا يدرك أقل من هذه الأمور فقربت له .

**{وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ} (51) سورة القمر** [أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية"، يعني كما تقدم في إهلاك قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، وقوم فرعون في هذه السورة خمس من الأمم أهلكت وكلهم أشياع لقريش، لأنهم أمثال لهم ونظراء لهم، "أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية"، **{فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ}؟** "استفهام بمعنى الأمر، أي ادكروا واتعظوا".

**{وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ} (52) سورة القمر** [أي العباد مكتوب"، **{فِي الزُّبُرِ} "كتب الحفظة"**، أو في اللوح المحفوظ في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، **{وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ} (52) سورة القمر** [أي العباد مكتوب"، **{فِي الزُّبُرِ} "كتب الحفظة"** **{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} (18) سورة ق**، وأهل العلم يقررون مثل هذه المسائل فيقولون: إن الحفظة تكتب كل شيء سواء كان فيه ثواب أو عليه عقاب، أو لا ثواب فيه ولا عقاب وهو مقتضى النصوص العامة، ومنهم من يقول: إنه لا يكتب إلا ما عليه حساب ثواب أو عقاب؛ لأن ما لا حساب عليه لا ثوب فيه ولا عقاب يعني من قبيل المباح ما الداعي إلى كتابته؟ يقول لا فائدة من كتابته، لكن النصوص العامة تثبت أن الملائكة تكتب كل شيء، ولذا يقول: **{وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ}**.

**{وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ}** [53] سورة القمر] "من الذنب أو العمل" **{مُسْتَنْطَرٌ}** "مكتوب في اللوح المحفوظ" في كتاب **{لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا}** [49] سورة الكهف] وهنا يقول: **{كُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ}** "من الذنب أو العمل" **{مُسْتَنْطَرٌ}** "مكتوب في اللوح المحفوظ"، ومكتوب أيضاً في كتب الحفظة.

**{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ}** [54] سورة القمر] هناك **{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرِ}** [47] سورة القمر] وهنا **{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ}** [54] سورة القمر] إذا تحدث عن حال الكفار تحدث عن حال المؤمنين، هناك **{فِي ضَلَالٍ وَسُعْرِ}** وهنا **{فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ}**.

**{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ}** "بساتين" **{وَنَهَرٍ}** "وأريد به الجنس" وإلا فلأصل أنهار فيها أنهار، "أريد به الجنس"، وعدل عن الجمع إلى المفرد مراعاة لرؤوس الآي كما تقدم نظيره مراراً وإلا فالمراد الجنس، "وقرئ بضم النون والهاء نُهْرٌ جمعاً كأسد وأسد المعنى أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر" **{فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ}** [15] سورة محمد] إلى آخره وهذه الأنهار تجري من تحتهم، وتجري بغير أخاديد ولا تحيد ولا تميل يميناً ولا شمالاً.

أنهارها في غير أخدود جرت سبحان ممسكها عن الفيضان

لا تحيد يميناً ولا شمالاً مع أنها ليس فيها أخاديد وتجري من تحتهم، وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، يعني هل يخطر على قلب بشر أن النهر يجري من تحت الإنسان؟ لا يصيبه، وليس فيه أخدود، ولا يميل يميناً ولا شمالاً، يعني من العجائب أن يوجد عين تتبع عين ضعيفة جداً تتبع وتسير على الأرض، وتقصد الجهة المرتفعة دون النازلة يعني هذا شيء مذهل بالنسبة للإنسان؟ هذا شيء مذهل، يعني وجدت هذه في الدنيا فكيف بأنهار الجنة، يعني الناس ينظرون إلى هذا العين وهي ضعيفة جداً تتبع من الأرض والأرض قريبة من الاستواء إلا أن جهة من جهاتها فيها شيء من الارتفاع وتصعد، هذه بالنسبة لعقل البشر وتقدير البشر ووسائل البشر فيها شيء من الاستغراب، لكن فكيف بهذه الأنهار، أنهار تتدفق تجري من تحتهم، وهذا نهر ماء، وهذا نهر لبن، وهذا نهر خمر، وهذا نهر عسل، وكلها من غير أخاديد **{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ}** [17] سورة السجدة] فهذه الأمور حقيقة ينبغي أن يقف عندها المسلم لا سيما طالب العلم؛ لأنها تحدوه إلى العمل.

منهم من فسر **{نهر}** بالضياء أخذاً من النهار الذي فيه الضياء، **{في جنات}** وضياء لا ظلام؛ لأن بساتين الدنيا بأشجارها قد تحجب هذه الأشجار الأنوار، فيكون فيه شيء من الظلام لا سيما فجر الليل وما قرب منه، يقول: **{ونهر}** فيه ضياء، وذكروا في هذا قول الشاعر:

لست بليلى ولكني نهر لا أدرج الليل ولكن أبتكر

يعني من النهار نهاري وليس بليلى ما يسهر، وعمله كله بالنهار، على كل حال هذا قول فيه بعد والنهر واحد الأنهار، وأثر الأفراد مراعاة لرؤوس الآي.

**{فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ}** [55] سورة القمر] "مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وأريد به الجنس" **{مَقْعَدِ صِدْقٍ}**، مقعد مضاف والمفرد إذا أضيف أفاد العموم، **{مَقْعَدِ صِدْقٍ}** "مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، وأريد به الجنس" يعني مقاعد ومجالس، ((المقسطون على منابر من نور، المقسطون على منابر من نور، عن يمين الرحمن الذين



يعدلون في أنفسهم وأهليهم وما ولوا وما ولو)) وقرئ **{مقاعد}** في مقاعد صدق، "المعنى أنهم في مجالس من الجنات سالمة، في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا" التي لا تسلم غالباً من اللغو والتأثيم، "فقل أن تسلم من ذلك وأعرب هذا خبراً ثانياً".

**{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ}** [54] سورة القمر، **{فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ}** [55] سورة القمر [خبر ثاني، خبر بعد خبر، خبر ثاني وأعرب "بدلاً وهو صادق ببدل البعض، **{فِي جَنَّاتٍ}**، **{فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ}** مقعد الصدق بعض من الجنات يعني إن المتقين في جنات في مقعد صدق، يعني خبر بعد خبر وتتعدد الأخبار.

من يك ذا بت فهذا بت مصيف مقبيض مشيت

أخبار متتابعة، ويجوز أن يكون بدل بدل بعض من كل، **{فِي مَقْعَدٍ}** المقعد بعض بالنسبة للجنة وصادق ببدل البعض وغيره الذي هو بدل اشتمال، بدل اشتمال يصدق به أيضاً؛ لأن الجنة مشتملة على المقعد فيكون من باب بدل الاشتمال، "وهو صادق ببدل البعض وغيره".

**{عِنْدَ مَلِكٍ}** [55] سورة القمر [فعل صيغة مبالغة، يقول: "مثال مبالغة" من ملك، وملك أيضاً مبالغة، فعل، مبالغة والأصل مالك اسم الفاعل، وهذه صيغ المبالغة التي منها فاعيل وفعل، **{مَلِكٍ}** مثال مبالغة أي عزيز الملك، "عزيز الملك واسعه".

**{مُقْتَدِرٍ}** "قادر لا يعجزه شيء وهو الله -جل وعلا-" قادر، وأي قدرة أعظم من أن يجازي آخر من يدخل الجنة آخر من يخرج من النار بعشرة أمثال ملك أعظم ملك في الدنيا، يعني لو تصورنا ملك ذو القرنين أو ملك هارون الرشيد على سعته، يكفيك ملك هارون الرشيد يقول نعم، (( لك ومثله ومثله إلى عشرة أمثاله ))، **{مُقْتَدِرٍ}** "قادر لا يعجزه شيء وهو الله تعالى".

وعند، **{الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ}** يعني بالنسبة للمخلوق، إذا قيل: عند ملك معناه هكذا الملك جالس هنا، وهذا عنده هذا بالنسبة للمخلوق واضح ولذا يقول: "وعند، إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله تعالى"، أو منه صفة القرب ثابتة، وإلا ما هي بثابتة؟ ثابتة بالنسبة لله -جل وعلا- قرب يليق بجلاله وعظمته فلا نحتاج إلى مثل هذا إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله تعالى، فصفة القرب ثابتة لله -جل وعلا-، ومعروف أن القرب يكون من الجانبين، فإذا كان الرب قريب من ربه، فالعبد قريب من ربه، وأقرب ما يكون العبد قريب من ربه وهو ساجد.

والله اعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين...